



سيقرأ القراء في هذه المقالة غيرَ ما يقرؤونه في الأخبار، فإنَّ لرواية الأخبار تفسيرَهم لما شجَّرَ بين النصرة والأحرار اليوم في حارم وسلقين، ولِي رأي غير الرأي الذي يَرَونَه. هم سيتحدثون عن "السبب المباشر" وأنا سأتحدث عن "السبب الحقيقِي"، السبب الذي سيُبقي الصدامُ كاماً ومرشحاً للعودة والتفاقم ما لم يعالجْ معالجة حقيقة وُستَأصلَّ أسبابُه من الجذور.

قد يكون السبب المباشر هو اعتداء جبهة النصرة على مقر الأحرار في البلدة، وليس هذا بالأمر الجديد، فإنَّ فصيلاً في الثورة لم ينجُ من اعتداء النصرة إلى اليوم، وقد سقط ضحيةً لعربتها ثلاثة عشر فصيلاً من الفصائل الثورية، والعدد مرشح للارتفاع.

هذه كلها مظاهر وأعراض للمرض الفتاك، فإذا عالجنا العرَض ولم نستأصل جرثومة المرض عاد أشدَّ وأفتكَ مما كان. وما جرثومةُ المرض وما سبُّه وأصله؛ إنَّه المشروعُ الخاصُّ الذي تحمله النصرة وتسعى إلى فرضه بالقوة والتغلب على الشام وأهل الشام وفصائل الشام، ولن يمنع الصدامَ بينها وبين الأحرار في قادمات الأيام إلَّا واحدٌ من حلين: أن تتخلى جبهة النصرة عن مشروعها الخاص وتنصهر في المشروع الثوري العام، أو تتخلى حركة أحرار الشام عن مشروعها الذي اختارت له منهج الدعوة والإصلاح، وتندمج في المشروع القاعدي الجُبُريِّ الذي تحمله جبهة النصرة وتسعى لفرضه على أهل الشام.

* * *

هذا هو السبب الرئيسي، وثمة سبب آخر يتبع هذا السبب وينبع منه، وهو أن النصرة تقوم على أطمام إمبراطورية يحملها في نفسه ملئٌ مجهول يحلم بالوصول إلى ذُرى المجد والسلطان، في حين تقوم حركة أحرار الشام على التضحية وإنكار الذات.

ولقد عرفت ثلاثة من قادة الحركة، مَنْ مضى منهم إلى لقاء ربه ومَنْ خلفهم بخير، فوجدت منهم تواضعًا وتحامياً عن المناصب والمسؤوليات، ولم أجد عند أحد منهم جنون العظمة وروح الوصاية التي وجدتها في كل لقاء مسجل مع رأس النصرة، ولا وجدت عند أيِّ منهم الكبُر والإسفاف والجنون الذي وجدناه في كتابات المرشد الروحي الذي سلمته النصرة أخطر منصب فيها: المعاهد التعليمية التي تصوغ عقول عناصر النصرة وتحولهم إلى مُكَفَّرين محترفين.

لقد اختارت حركة أحرار الشام الانتماء إلى الأمة والوقوف مع الشعب الحر المظلوم ولم تفرض نفسها عليه بالقوة والسلطان، واختارت جبهة النصرة أن تحكمه وتحكم في حياته، ففي شرعها يحق لسموَّ الأمير أن يحدد لون الرداء الذي ترتديه المسلمين في الطرقات، ويجوز لجناب السلطان أن يطلع على كل منشور يكتبه رعایاه فيجيز منها ما يرضاه ويمنع ما يأباه.

في هذا الشرع لا يجوز أن يقول أحد "لا"، فإن قالها مدني ضعيف أعزل سبق إلى الاعتقال والتعذيب، وإن قالها فصيل صغير حُكم عليه بالردة والعماالة وابتُلُع في ليلة ظلماء، وإن قالتها حركة أحرار الشام فالصدام آت لا محالة. وكل من يقف في طريق المجاهدين فهو خائن عميل، وفي الدُّرُج من وثائق الاتهام ما يكفي الجميع.

* * *

سيهبّ فريق من مطئي الحرائق لمحاصرة الفتنة التي وقعت اليوم في إدلب، وعملهم طيب يُشكرون عليه، وهو جهد مطلوب الآن وفي كل آن، فإن الصدام بين المجاهدين كارثة على الثورة لا يكاد يستفيد منها غير الأعداء. ولكن ليسعوا هذا الرجاء: لا تخيطوا الجرح على القبيح ولا تدفعوا المشكلة إلى الأمام، فإن دفعها لا يحلّها بل يزيدها سوءاً. لا تعالجوها معالجة سطحية بتبييض اللحى والشوارب وتغفلوا عن الأساليب الحقيقة الكامنة التي ستعيد إشعال فتيل النار.

أطفئوا نار الفتنة واسحبوا فتيل الاشتغال والاقتتال، ولكن اهتموا قبل ذلك وبعده بعلاج أصل المشكلة واستئصال جذرها الملعون. لا تسمحوا باثنتين: بغي أو تغلب، فإنهما طريق داعش الذي أورثنا الدمار والخسار، وهو طريق الجبارة والطغاة على مرّ الدهور والأزمان.

* * *

أخيراً أناشد إخواني وأبنائي من مجاهدي النصرة: كونوا مجاهدين صادقين ولا تكونوا قاتلة معتدين، وإذا دفعكم قاتلكم إلى قتال إخوانكم المجاهدين بأي ذريعة، مجاهدي الفسائل والجيش الحر على السواء، فقولوا بالصوت العالي: "لا". وإذا خيروكم بين القتل والقتال فليكن أحدُكم عبد الله المقتول ولا يكن عبد الله القاتل، فقد دُفع في هذا الطريق قبلكم من كان صاحب نية صادقة من مقاتلي داعش فقتلوا المسلمين، فحبّطت أعمالهم وحكموا على أنفسهم بالورود على النار، وبئس الورُد المورود.

الزلزال السوري.

المصادر: